

عبد العزيز المشيقح

قدم له فضيلة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

مصدر هذه المادة :





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه وبعد:

فهذه رسالة كتبها أحد طلبة العلم وضمنها موضوعات ذات أهمية، ومناسبة لواقع هذا الزمان، فتكلم فيها على العقيدة، كالتوحيد والإيمان، وما يتبع ذلك، وذكر بعض الأعمال القولية، كالدعاء والاستغفار، وبين فوائدهما، وما يترتب على الغفلة عنهما، وحث على بعض الأعمال المتعدية، فعلية أو مالية؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعاهد الصدقة، فإن الناس بحاجة شديدة إلى تعقل ذلك، ومعرفة ما ينتج عنه.

وحذر من الظلم والتعدي على حق الغير، لما في ذلك من العقوبات والآثار السيئة، وهكذا ذكر الخوف من العقوبات السماوية والأرضية وأسباها، وذكر شكر نعم الله وفوائده وختم بالتوبة النصوح وشروطها وآثارها ووجوها على كل أحد.

ولاشك أنه في علاجه لهذه الأشياء قد شاهد مسيس الحاجة إليها. وبالجملة فهي رسالة نافعة مفيدة في هذه الأيام العصيبة التي وقع فيها ما لم يكن يتوقع المسلمون من الاختلاف واختلال الأمر واضطراب أحوال أكثر المسلمين، وكل ذلك بسبب الذنوب التي هانت على كثير من النفوس وأصبحت مألوفة عندهم، لفشوها وعدم من ينكرها من كبير أو صغير، فلعل أهل الدين والعقيدة أن ينتبهوا لأنفسهم، ويعرفوا ما حل هم، ويفيقوا من هذه الغفلة،

ليكشف الله عنهم السوء والخوف والعقوبات، إذا راجعوا دينـــهم، ورجعوا إلى ربهم، فهو الغفور الرحيم. والله أعلم وأحكم. وصـــلى الله علي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن المسلم يعيش دائمًا مع الأعمال الصالحة التي تقربه إلى مولاه، وقد يتعرض لبعض البلاء والمحن. كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ [البلد:٤].

وهذه هي الميزة التي تميزه عن غيره، إذا اتجه إلى ربه وخالقه. قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك:٢]. ولم يقل أيكم أكثر عملًا، لأن العبرة في العمل الحسن، والحسن هو الخالص لله تعالى، الموافق لسنة نبيه ﷺ، أي الذي يجمع الأمرين. قال سبحانه: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾. [البقرة:١١٢] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾. [البينة:٥].

وبهذا يعلم أنه يشترط لقبول العمل شرطان، **الأول**: الإخلاص لله تعالى. **والثاني**: المتابعة للرسول، ﷺ، كما قال ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**». [أخرجه مسلم برقم ١٧١٨].

وإذا تقرر أن المسلم متعرض للبلاء والفتنة، فإن المناسب التذكير في هذه الحالة، ببعض الأسباب التي يدفع الله بها البلاء، ويرفع بها العقوبات عن الشخص والجماعة والأمة، تذكيرًا لنفسي ولإخواني المسلمين، لعل الله سبحانه أن ينفع بها.

أولًا: التوحيد:

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وبالربوبية، وبصفات (الكمال في الذات والأسماء والصفات والأفعال). كما جاء في الكتاب والسنة، فلا يخاف ولا يرجو ولا يعبد إلا الله وحده.

ويعلم أن الله على كل شيء قدير. ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فهو سبحانه الذي يجيب المضطر إذا دعاه. ويكشف السوء، ويدافع عن الذين آمنوا، ويرحم من عباده الرحماء، وينصر أولياءه في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

فإنه هو المعبود الحق، وحده لا شريك له، فيخلص في عبادته والتوكل عليه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾. [الذاريات:٥٦].

حيث إن الله خلق الثقلين لعبادته، وأمرهم بطاعته، وضمن لهم الرزق، فواجب عليهم أن يشتغلوا بما خلقوا له من وأن يتوكلوا على الله في حصول ما ضمن لهم، مع مباشرة الأسباب المشروعة.

فالعبادة هي التوحيد، وقد تكفل الله لخلقه بالرزق، والمد والعطاء، فقال تعالى: ﴿**مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ**﴾. فهو سبحانه لا يريد منا رزقًا، ولا إطعامًا له، لأنه سبحانه غني بذاته عن جميع خلقه، فله الغنى المطلق، وكل غنى لأحد من الخلق فهو منه سبحانه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾. [فاطر:١٥].

وإن من ثمرات التوحيد التوكل على الله تعالى، الذي يتحقق فيه تفويض أمر العبد إلى الله تعالى، ثقة به واعتمادًا عليه مع مباشرة الأسباب المشروعة، التي أمر الله رسوله بها، فمن توكل على الله كفاه قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾. [إبراهيم:١١] ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾. [الطلاق:٣].

وقد أخبر سبحانه بأنه بيده ملكوت كل شيء ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾. [يس:٨٢].

وقال النبي ﷺ: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا** (أي جياعًا) **وتروح بطانًا** (أي شباعًا)». [أخرجه الإمام أحمد ١/٣٠ والحاكم ٤/٣١٨].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – كفاية الله لعبده على حسب إيمانه، فإن كان إيمانه قويًّا كانت الكفاية كبيرة وعظيمة، وكلما قل الإيمان قلت الكفاية – نسأل الله العافية–.

ولهذا لما قال الناس للنبي ﷺ وأصحابه بعد أحد: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾. [آل عمران:١٧٣] فكفاهم الله أمر العدو، حيث قال: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾. [آل عمران: ١٧٤] فأمنوا من السوء، وفازوا بالفضل.

وهكذا كل من أخلص لله في توحيده، وصدق الله في توكله، فإنه سبحانه يكفيه ما أهمه وما لم يهتم به.

فالتوحيد الذي هذا شأنه، وتلك ثمراته من أجله بعث الله جميع رسله، يدعون إليه، وأنزل جميع كتبه لبيانه والتحذير من ضده، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾. [النحل:٣٦].

ثانيًا: الإيمان:

وهو التصديق بوعد الله ووعيده الغيبي، قال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة:٣].

وقد وعد لله عبادة المؤمنين بالنجاة من عذابه، حينما ينزل على المجتمعات، فقال تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ١٠٢، ١٠٣].

فهذه ثمرة من ثمرات الإيمان، وهي النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة.

وقد نجي الله سبحانه وتعالى قوم يونس من العذاب بعد معاينته بسبب الإيمان، قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾. [يونس:٩٨].

وكذلك مدافعة الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾. [الحج:٣٨].

فتكفل سبحانه بمدافعته عن المؤمنين خاصة مع النصر والتأييد، وقد قرنهم برسله. ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾. [غافر:١٢٨] فيجب على كل مسلم أن يحقق إيمانه ويتفقده، ويبتعد عن كل ما ينقصه أو يخدش كماله، لينال وعد الله له بذلك، ويسعى دائمًا إلى ما يزيد إيمانه وتقواه، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى، لأن الله جعل العاقبة للمتقين. والمتقون هم المؤمنون خاصة، قال تعالى: ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾. [الأعراف:١٢٨] أي حسن العاقبة للمتقين.

كما وعدهم بإرث الأرض فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾. [الأعراف:١٢٨] رزقنا الله التقوى في السر والعلن.

ثالثا: الدعاء:

الدعاء: هو العبادة، بل هو خالص العبادة. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾. [غافر:٦٠] وقال النبي، ﷺ، «**الدعاء هو العبادة**». [أخرجه الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير].

فالدعاء عبادة لله سبحانه وتعالى، لأن العبد حينما يرفع يديه إلى ربه فهو يعلم أنه لا يقدر على كشف ما به من ضر أو كرب إلا هو سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحد أن يحول حالته من ضراء إلى سراء إلا الله، فالدعاء –والحال هذه– ذل وخضوع بين يدي الباري – عز وجل – ومناجاة لله تعالى، فالدعاء استدعاء من

العبد لربه بالعناية به، فهو يستعينه ويستمد منه النصر والتوفيق.

وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبري من الحول والقوة، هو سمة العبودية، لذلك قال النبي، ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» والاستشعار بالفقر والفاقة، وفيه معنى الثناء على الله – عز وجل – وإضافة الكرم والجود إليه، وقد قيل الدعاء مفتاح الحاجة.

وللدعاء خواص منها: أنه عبادة وإخلاص، وحمد وشكر، واستغاثة، وقد بين الله سبحانه أنه لولا الدعاء لهلك أقوام، ولكن نجاهم بسببه. قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾. [الفرقان:٧٧].

والمعنى لولا دعاؤكم إياه أيها المخاطبون له وحده عند الشدائد والكروب لهلكتم، فالله سبحانه وتعالى يستجيب لما دعاه مخلصًا، ولو كان كافرًا، كما قال تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾. [العنكبوت:٦٥].

فالله سبحانه وتعالى استجاب لهم عندما دعوه في الشدائد، فمن أخلص لله في الدعاء وتضرع إليه استجاب له، ولاسيما عند الكرب والشدة، لكن الكافر ينتفع بدعائه ربه في الدنيا فقط، وأما المؤمن فينتفع بدعائه في الدنيا، ويثاب عليه في الآخرة، ويزداد به قربًا من الله،وحبًّا له، وقد طلب الله من عباده أن يدعوه ليزيل ما بهم من شدة. فقال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾. [غافر:٦٠].

فوعد سبحانه بالاستجابة بعد الدعاء، ولن يخلف الله وعده، وبالأخص إذا كان الدعاء بسبب شدة نزلت بالمسلمين، فإنه يستجيب لهم. قال تعالى: **﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**.[الأنعام:٤٣] وقال: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾**.[الأعراف:٩٤].

والقسوة التي في القلوب هي من آثار المعاصي، وهي سبب في عدم التضرع إلى الله تعالى، والخضوع له حتى في حال الضراء، فمن لم يتضرع إلى الله تعالى – ولا سيما في الشدائد – فقلبه قاس، والقسوة نذير بالهلاك، وأبعد القلوب عن الله القلب القاسي.

فيجب على عموم المسلمين التضرع إلى الله سبحانه وتعالى، في حالة البأساء والضراء، في حال الرخاء والسراء ويعم المسلم بالدعاء جميع المسلمين، ويدعو ربه – عز وجل – بأن يزيل ما يوجد بالمجتمعات من معاص ظاهرة وباطنة، ويدعو بالصلاح لولاة أمور المسلمين، والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه.

ويكفي في الدعاء أن الله سبحانه وتعالى لما أراد هلاك قوم يونس ضجوا إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء، ودفع عنهم العذاب بعد ما انعقدت أسبابه، وظهرت معالمه، كما في سورة يونس، وقال النبي، ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**» [أخرجه الترمذي عن سلمان انظر السلسلة رقم ١٥٤].

والدعاء في حالة المواجهة مع العدو وشدة الكرب يكون أسرع

في الإجابة. قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾. [الأنفال:٩].

رابعًا: الاستغفار:

هو طلب المغفرة، وهي الستر والتغطية، ومحو آثار المعاصي، مأخوذ من الغفر، ومنه المغفر الذي يلبس تحت البيضة والاستغفار هو طلب ستر الذنوب، ومحو آثارها، وعدم العقوبة عليها.

وقد ورد ذكر الاستغفار في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا، وسمى الله لنفسه بأسماء تدل على ذلك، مثل الغفور، والرحيم، والتواب، ترغيبًا لعباده، وطلبًا منهم أن يكثروا من الاستغفار ويذللوا ألسنتهم بهذه العبادة العظيمة التي تشعر العبد بأن له ربًّا يأخذ بالذنب ويعاقب عليه.

والاستغفار سبب عظيم من أسباب تحصيل الخير، ودفع الشر في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [هود:٣].

ففي هذا تنبيه إلى جميل عواقب الاستغفار، وأنه من أسباب المتاع الحسن، والفسح في الأجل، وزيادة الفضل.

والاستغفار سبب للمدد والعطاء في المال والولد والثمرات، ونزول البركات من السماء على الأرض. قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح:١٠- ١٢].

فمن ثمرات الاستغفار تحصيل المغفرة، ونزول الغيث، وزيادة في الأموال والأولاد، والبركات في الثمار والأقوات، وكذلك سبب للقوة وزيادتها، قال تعالى في قصة هود مع قومه: **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾**. [هود:٥٢].

فكما أنه يزيد في أمور الدنيا فهو معونة في الآخرة على الشدائد، قال النبي، ﷺ: «**طوبى لمن وَجَدَ في صحيفته استغفارًا كثيرًا**». [صحيح الجامع، رقم:٣٨٢٥].

فالاستغفار يزيد العبد قوة في جسده، فيتمتع بجوارحه وحواسه وعقله، وكذلك هو قوة له على طاعة ربه، فهو قوة على كل خير في العاجلة والآجلة.

وكذلك تركه والتهاون به سبب في نزول العذاب من الله على البلاد والعباد. قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** فالاستغفار أمان لأهل الأرض من نزول العذاب، كما أن النبي ﷺ، أمان لهم، فالله أعطى هذه الأمة أمانين؛ أعطاها أمانًا مضى، وهو وجود النبي، ﷺ، بين ظهرانيهم، وأمانًا باقيًا إلى آخر الدهر، وهو الاستغفار.

قال تعالى: **﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**. [النمل:٤٦] فالاستغفار سبب للرحمة، ومن رحمه الله لم يهلكه.

وقد ورد الحث على الاستغفار بعد كل عبادة من صلاة، وصيام، وحج، وجميع العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، لجبر

ما يحصل بها من النقصان، قال تعالى حكاية عن إبـراهيم وابنـه إسماعيل، عليهما السلام: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾. [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

خامسًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن أهم صفة ميز الله بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم وشهد لها بالخيرية على تحقيقها وأكد عليها، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد أرسل الله تعالى رسوله ﷺ، لعموم الناس: ﴿**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾. [الأعراف:١٥٧] فمدار الإسلام كله على الأمر والنهي، فما أمر الله به ورسوله ففعله طاعة، يؤمر به، وما نهى الله ورسوله عنه فمعصية، ينهى عنه.

فالدين الإسلامي كله خير، ومعروف يلزمنا اتباعه، فإذا خرج الناس عن هذا (الخير) أو خالفوا أتوا بضده وهو الشر (المنكر) الذي يجب النهي عنه.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مما أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، وهو من أهم فرائض هذا الدين، ولذا ذكره الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع، فمرة يكون تركه سببًا لاستحقاق اللعن، وأخرى يكون سببًا لنزول العقوبة والعذاب، وثالثة يكون تركه صفة من صفات المنافقين أعاذنا الله من النفاق.

والقيام به صفة من صفات المؤمنين، رزقنا الله الاستقامة على دينه، والثبات عليه، وقد قرنه الله سبحانه وتعالى بالصلاة والزكاة، امتنانًا على من مكنهم في الأرض، وتذكيرًا لهم بهذا الواجب. فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ . [الحج:٤١].

فالأمر والنهي قوام المجتمع وصلاحه وترابطه، ومحبة بعضه لبعض، حيث به يظهر التناصح والتآزر، ولذا قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره، بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». [أخرجه مسلم، رقم:٥٤٩] وقال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده**». [صحيح الجامع: ١٩٧٠]

ومتى حوفظ على الأمر والنهي حوفظ على المجتمع كله من الدمار، نسأل الله العفو والعافية.

وقد قص الله تعالى علينا من أخبار الأمم السابقة إن تركوا هذا عمهم الله بعقاب من عنده و لم ينج منه إلا من كان يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر فقال: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا**

بعَذَاب بَئِيسٍ بمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. [الأعراف:١٦٣- ١٦٦].

ففي هذه الآيات نبأ عظيم لمن أنار الله بصيرته، يقول ابن عباس —رضي الله عنه —: (قسم الله هذه الأمة (أي بني إسرائيل) إلى ثلاثة أقسام: قسم: عملوا المنكر، وهو الصيد في السبت. وقسم: خذلوا الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، والذين أمروا بالمعروف وهوا عن المنكر، فلما نزل العذاب أهلك القوم الأولين. ونجى الله القسم الثالث من المسخ إلى القردة والخنازير، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر).

ويكفي في ذلك قول الحق تبارك وتعالى: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾**. [هود:١١٧] أي مصلحون بالدعوة إلى الله، وبالأمر بالمعروف، والنهي على المنكر، وإرشاد العباد لعبادة رهم، و لم يقل الصالحون لأن صلاح الفرد قد لا يتعدى إلى غيره، أما المصلح فتعدى صلاحه لغيره بالدعوة والقدوة، ويبقى أثره قرونًا عديدة بسبب الإصلاح، كما هو عليه أئمة المسلمين من المصلحين كابن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأحفاده إلى يومنا هذا — يرحمهم الله —.

وليعلم أن من تهاون في هذا الواجب أو قام ضده فإنه يكون فيه خصلة من خصال المنافقين، بل يكون منافقًا. قال تعالى: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾** [التوبة:٦٧].

فيجب علينا جميعًا أن نعزز هذا الواجب من ديننا، وأن نسانده ومن قام به، ونؤيدهم تأييدًا معنويًّا وحسيًّا، وينبغي لنا أن نتنافس في الأمر والنهي بالقول والعمل والحال، وأن نعين القائمين به ما استطعنا فإن القائمين بالأمر والنهي هم ورثة الرسل، وخيار الموعودين بالنصر والظهور والاستخلاف في الأرض والأمن والفلاح، والرسل لم يبعثوا إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نسأل العلي القدير أن ينصر دينه، ويعلي كلمته وأن يجعلنا من أنصاره العاملين به.

سادسًا: اجتناب الظلم:

الظلم هو التعدي على الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم أو أبشارهم بغير حق قال النبي ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم** – وفي لفظ **وأبشاركم – عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**». [أخرجه البخاري رقم:٦٧].

وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**». [أخرجه مسلم رقم:٢٥٨٠] وقد أخبر، ﷺ أن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**». [أخرجه مسلم رقم:٢٥٧٧].

وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**». [أخرجه مسلم رقم:٢٥٧٨] وتوعد من أخذ شيئًا بغير حق قال: «**من ظلم قيد شبر من أرض طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع**

أرضين». [أخرجه مسلم رقم:١٦١٢].

فالظلم من أعظم أسباب العقوبات، وتسليط الظالمين بعضهم على بعض، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا**﴾. [الأنعام:١٢٩] كما أنه من أسباب الحرمان الكوني والشرعي من الطيبات، قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**﴾. [النساء:١٦٠].

وكذلك هو من أسباب العقوبات البليغة التي تهلك بها المجتمعات. قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**﴾. [الكهف:٥٩].

فلا يتجرأن أحد على الظلم، ولا يغتر بإمهال الله، ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته،** ثم قرأ ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ ». [أخرجه البخاري رقم:٤٦٨٦].

والظلم واقع من كثير من الناس في هذا الزمان، فالغيبة والنميمة والبهتان والكذب والحسد والضغينة والحقد والتجسس والغش والغدر والخيانة والدعوى الباطلة والأيمان الكاذبة الفاجرة التي يقصد بها أكل أموال الناس بالباطل، والتشفي منهم بغير حق، كل ذلك من الظلم المحرم، وكذلك السرقة ونهب الأموال، والرشاوى والمعاملة بالربا، وسفك الدماء بغير حق ومنع الحقوق عن أهلها ومستحقيها، كل ذلك من الظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة.

فيجب على كل مسلم ناصح لنفسه، أن يتوب إلى الله من

الظلم، وأن يرد المظالم إلى أهلها قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ من حسناته وإن لم يكن له علم صالح أخذ من سيئات صاحبه فطرح عليه ثم طرح في النار.

فترك الظلم من أسباب النجاة من الهلاك والشقاء في الدنيا والآخرة، لأنه علو في الأرض وفساد يقتضي الحرمان من العافية والحياة الكريمة.

فيجب علينا أن نتحرز من الظلم سواء كان في الأعراض أو الأموال أو الأبدان، قال النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره**». [أخرجه مسلم رقم:٢٥٧٨] وقال: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه وماله**» [أخرجه مسلم رقم:٢٥٧٨] فالنبي، ﷺ ربط أخوة المسلم لأخيه بعدم الظلم في الدم والمال والعرض وجعلها محرمة.

ولذا فقد جعل الله سبحانه وتعالى العاقبة الحميدة للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا وهي الرفعة في الدنيا، والخلود في الجنان في الآخرة.

فيجب علينا ترك الظلم والابتعاد عنه خشية من عقوباته في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل الله له عقوبة من البغي** – أي الظلم – **وقطيعة الرحم**». [أخرجه الترمذي رقم ٢٥١٣، أبو داود رقم:٤٩٠٢].

وأخبر ﷺ، أن دعاء المظلوم مستجاب على ظالمه، كما في حديث معاذ – رضي الله عنه - «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس**

بينها وبين الله حجاب» وفي حديث آخر «**دعوة المظلوم يرفعها الله إلى الغمام، ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**» [البخاري رقم: ٤٣٤٧ ومسلم رقم:٢٦].

قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾. [القصص:٨٣] قال سعيد بن جبير في العلو: هو البغي.

ولهذا ذكر النبي ﷺ بعض عقوبات الظلم تحذيرًا من تجاوزه، وانتهاك حرمته، فقال: «**ما من راع يسترعيه الله رعية فيموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**». [أخرجه البخاري رقم:٧١٥٠ ومسلم رقم:٢٢٧].

فالغش هو الظلم، وعدم النصيحة لهم في أمور الدين والدنيا، ويكفي هذا عقابًا وخذلانًا لمن انتهك حرمة الله، وقال ﷺ: «**من ظلم قيد شبر من أرض طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين**». [أخرجه مسلم رقم:١٤١٣] فهذا عقاب شديد لمن تعدى حدوده إلى حد غيره.

ولذلك لعنه النبي ﷺ، «**لعن الله من غير منار الأرض**». [أخرجه مسلم رقم:١٩٧٨] اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله – عز وجل – وكذلك قال النبي ﷺ: «**من كان له زوجتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**». [أخرجه أبو داود رقم:٢١٣٣والترمذي رقم:١١٤١].

فهذا تحذير شديد، ووعيد أكيد، لمن لم يعدل بين الزوجات

وقد لعن الله سبحانه وتعالى الظالمين في أكثر من موضوع في كتابه العزيز فقال: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود:١٨] (اللعن): الطرد والإبعاد من رحمة الله، فمن طرد وأبعد عن الرحمة فلا صلاح له، ولا فلاح، فيجب على الجميع التحرز عن هذا الخلق لئلا ينزل عليهم سخط الله وعقابه، (نسأله الله السلامة والعافية في الدين والدينا).

سابعًا: الصدقة:

الصدقة: مواساة من المسلم الذي آتاه الله من فضله لأخيه الفقير المحتاج، حيث يشعر الفقير أن له محبة في قلب أخيه المسلم. والصدقة تأتي في الكتاب والسنة بمعنى الزكاة الواجبة، وتأتي بمعنى التطوع، فإذا كانت مقرونة بالصلاة فهي الزكاة الواجبة. وأما غيرها فيوضحها المعنى السابق لها، ولذا حث الله سبحانه وتعالى عليها، وسماها قرضًا. فقال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾.[البقرة:٢٤٥].

ومما يحتاج إلى التنبيه عليه:

تحريم المن والأذى في العطية. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾. [البقرة:٢٧١] فبين أن المن في العطية، وكذا أذية التصدق عليها سبب لإبطالها.

وكذلك استحباب الإسرار بها. قال تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾.[البقرة:٢٧١] وإخفاؤها، سبب لإظلال الله عبده يوم

القيامة، قال النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أقرضته يمينه**». [أخرجه البخاري رقم:٦٨٠٦ ومسلم رقم:١٠٣١].

وكذا الإكثار منها: قال النبي ﷺ: «**إن ظل المؤمن يوم القيامة في صدقته**». [أخرجه الإمام أحمد ٤/١٤٧/١٤٨].

وتستحب الصدقة في حال الصحة والقوة والنشاط لما روى أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا قال: «**أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى**». [أخرجه البخاري رقم:٨٩٣ ومسلم رقم:١٠٣٢].

هذه بعض الأمور التي يجب أن يراعيها المسلم حينما يتصدق لأجل أن ينال ما وعد الله سبحانه وتعالى في الصدقة، ولأجل أن يظهر في مجتمعنا التنافس والتسابق إلى الخيرات والعمل بالمشروعات الإسلامية في أنحاء المعمورة لنشر الإسلام، وتدمير ما يكيد له أعداؤه.

وفي الحديث أن النبي ﷺ، جاءه رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**». [أخرجه مسلم رقم:١٨٩٢].

فهذا الحديث يشعر بأن صدقته سيزيدها الله سبحانه وتعالى وستتضاعف في ميزان حسناته.

والصدقة كلما كان المسلمون إليها بحاجة كما هو الواقع اليوم،

لدفع بعض المشروعات الخيرية إلى الإمام، كانت أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا.

وللصدقات ثمرات في الدنيا والآخرة

فمن ثمراتها:

أولًا:إطفاء غضب الرب الذي نحن نلجأ إليه ونتضرع إليه، في أن يرفعه عنا بسبب ما اقترفته أيدينا من المعاصي.

ثانيًا: دفع ميتة السوء: التي قال فيها النبي، ﷺ، «**إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**». [أخرجه الترمذي رقم ٦٦٤]. كما أنها تطفئ الذنوب والخطايا، ففي حديث معاذ الطويل: «**والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**».

ثالثًا: إنها سبب الرزق والنصر والجبر: فنحن دائمًا بحاجة إلى ذلك، كما في الحديث: «**أكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا**».

رابعًا: إنها سبب لدفع البلاء. قال ﷺ: «**باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها**».

خامسًا:إنها تسد سبعين بابًا من السوء. قال ﷺ: «**باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها وتسد سبعين بابًا من السوء**».

سادسًا: إن منع الصدقات يزيل النعم، ويخرب الديار العامرة، كما ذكر الله في قصة أصحاب الجنة المذكورة في سورة القلم قال الله تعالى: ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ** *

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ إلى قوله: **﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾**. [القلم:٢٤،٢٣].

سابعًا: إن منع الزكاة والصدقات سبب لمنع القطر من السماء، قال ﷺ: «**ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**».

فالجزاء من جنس العمل، فإذا منع الأغنياء الضعفاء من حقوقهم في أموالهم، منع الله الرحمة والبركة من السماء، وأنه ليحكي واقعنا الذي نعيشه اليوم في كثرة طلب السقيا، ولا نسقى والمنع بسبب ذنوبنا ومعاصينا.

ثامنا: أنها تطفئ عن أهلها حر القبور، كما جاء عن النبي ﷺ: «**إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور**».

تاسعًا: أنها العلاج الناجح لجميع الأمراض القلبية والبدنية. قال ﷺ «**داووا مرضاكم بالصدقة**». [صحيح الجامع رقم:٣٣٥٣].

فما أحوجنا جميعًا لهذا الثمرات – الصغير والكبير والآمر والمأمور، وبالأخص دفع الصدقات إلى من هم محتاجون إليها، بشراء ما يدفع كيد الأعداء عن بلادهم، كمثل الأقليات الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة.

ثامنًا: الخوف من عذاب الله

الأمن من مكر الله كبيرة من كبائر الذنوب، لأن الله سبحانه وتعالى قد يمهل العصاة، وله في ذلك حكمة عظيمة، منها:

١- ما أشار إليه بقوله تعالى: **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ**

مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. [فاطر:٤٥].

٢-ومنها أن الدنيا أمد قصير ومتاع قليل كما قال تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ**﴾. [آل عمران:١٩٦، ١٩٧].

٣- ابتلاء بعض الناس ببعض، كما قال تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾. [محمد:٤].

٤- ومنها أن يغتر الظالم بإمهال الله له، فيتمادى في طغيانه، فيكون ذلك أشد عقوبة، وأبلغ في الانتقام منه، وفي الحديث «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾. [هود:١٠٢] وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾. [الفجر:١٠-١٣] وقال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**﴾. [الطلاق:٧-٩].

٥- ومنها لعلهم يرجعون إلى رهم، ولا يهملهم بترك العقوبة، والعقوبة قد تأتي على القلوب والأديان بنسيان ما ذكروا به. قال تعالى: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾. [التوبة:٦٧].

وتأتي تارة أخرى بإفساد الديار العامرة، كعقاب الأمم السابقة، وأخرى بنقص الأموال والأنفس والثمرات والخوف. قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾. [البقرة:١٥٥].

هذه الأشياء هي عاقبة لتماديهم في المعاصي، وعدم الحذر من مكر الله، وأن هناك شيئًا جوهريًّا ينبغي أن نأخذه بعين الاعتبار، وهو أن مد الله لعباده رزقهم وإعطاءهم ما يحبون لا يدل على الرضا، وإنما يدل على الاستدراج! كما ورد بذلك الحديث عن النبي ﷺ وكذا قال ﷺ: «**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة ماء**». [مسند الإمام أحمد ١/٢٨٧].

فتبين لنا أن كثرة عطاء الله إنما هو استدراج وكذا لا يدل على محبة الله لمن أعطاه هذه النعم بدون شكرها. ولنذكر في هذا المقام بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذلك:

أولًا: قال تعالى: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**. [الأنعام:٤٤] أي أخذهم عذابنا من حيث... قال الحسن: الإبلاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة. (نسأل الله العافية).

ثانيًا: يجب على المسلم أن يحذر عقوبة سوء الخاتمة؛ وذلك بسؤال الله حسن الخاتمة فقد كان النبي ﷺ يدعو بقوله: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**». وقال ﷺ:«**إن الرجل ليعمل**

بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». [أخرجه مسلم رقم:٢٦٥١] وبالعكس، نسأل الله الثبات على دينه.

ثالثًا: ذم الله لمن أمن مكره، وكتب عليهم الخسارة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾. [الأعراف:٩٩].

فكم من رياض أمست وزهرها يانع عميم، وأصبحت وزهرها يابس هشيم، إذا هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم. ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم. ذلك تقدير العزيز العليم.

تاسعًا: شكر النعم:

إن شكر النعمة التي ينعم بها الله سبحانه وتعالى على الأفراد أو على الجماعات والمجتمعات سبب لاستقرارها وثبوتها، أما عدم الشكر فإنه يؤدي غالبًا إلى العقوبات الخاصة أو العامة. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه ما عاقب به كل شخص على كفره، فيجب علينا أن نشكر الله على نعمه سواء كانت دينية أو دنيوية.

والله سبحانه يحب شكر النعم التي أنعم بها علينا، فمن أسمائه الحسنى: (الشكور) أي الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل. قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا**﴾. [الإنسان:٢٢].

وأخبر سبحانه وتعالى أنه أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وأمرنا

النبي ﷺ، بسؤال الله الإعانة على ذكره وشكره بعد كل صـــلاة، فيقول أحدنا: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتـــك. [مسند الإمام أحمد ٥/٢٤٤].

وحيث إن شكر النعم سبب لزيادتها، وكفرها سبب للـــنقص ونزول العذاب فلنذكر في هذا المقام آيات وأحاديث في الشكر:

أولًا: إن شكر النعمة سبب للزيادة. قال تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾. [إبراهيم:٧].

ثانيًا: أمره لرسله والمؤمنين بالشكر، والله لا يأمر إلا بالواجب المهم. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَـــاتِ وَاعْمَلُـــوا صَالِحًا**﴾. [المؤمنون:٥١].

وكذا أمره لعموم المؤمنين بالشكر. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّـــاهُ تَعْبُدُونَ**﴾. [البقرة:١٧٢].

ثالثًا: تسميته لأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين بالشاكرين قـــال تعالى عن نوح، عليه السلام: ﴿**إِنَّـــهُ كَـــانَ عَبْـــدًا شَـــكُورًا**﴾. [الإسراء:٣].

رابعًا:ثناء الله على إبراهيم، عليه السلام، بالشكر. قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْـــرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِـــهِ اجْتَبَـــاهُ وَهَـــدَاهُ إِلَـــى صِـــرَاطٍ مُسْـــتَقِيمٍ**﴾. [النمل:١٢١،١٢٠].

خامسًا: طلب كثير من رسله وعباده المؤمنين الإعانة على الشكر. قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**﴾. [النمل:١٩].

سادسًا: أن الشكر مقترن بالأعمال الصالحة، ولا يسمى الإنسان شاكرًا إلا بالعمل قال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾. [سبأ:١٣].

سابعًا: إن الشاكرين هم القلة القليلة من الناس. قال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾. [سبأ:١٣].

ثامنًا: إن مصلحة الشاكر عائدة إلى نفسه ومجتمعه قال تعالى عن لقمان الحكيم: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾. [لقمان:١٢].

تاسعا: أن عاقبة كفر النعم وعدم شكرها وخيمة، قد تؤدي إلى الهلاك والدمار العام. قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾. [النمل:١٢٢] وكذلك ما قصه الله علينا من قصة سبأ.

عاشرًا: أن الشكر يؤدي إلى صرف العذاب. قال تعالى: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾. [النساء:١٤٧] أي ما يصنع بعذابكم إن شكرتم نعمته، وآمنتم به

وبرسوله، وكان الله شاكرًا للقليل على أعمالكم، عليمًا بنياتكم.

الحادي عشر: يتمثل بما ورد عن النبي ﷺ، في هذا المقام:

أولًا: اهتمامه ﷺ بشكر النعمة حتى كان ﷺ يدعو بعد كل صلاة بالإعانة عليه «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

ثانيًا: وصف من لا يشكر القليل بأنه لا يشكر الكثير، قال ﷺ: «**من لا يشكر القليل لا يشكر الكثير**». [مسند الإمام احمد ٥/٢٤٤].

ثالثا: تعويد الناس شكر بعضهم لبعض على المعروف، تأديبًا لهم ليشكروا فاطر السموات والأرض. قال ﷺ: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**». [صحيح الجامع رقم:٣٠٢٥].

رابعًا: نسبة النعمة إلى موليها ومسديها، وهو الله سبحانه وتعالى، حيث إن النسبة لغيره كفر كالنسبة للطبيعة أو النجوم أو غير ذلك. قال ﷺ: «**قال الله أصبح من عبادي مؤمن وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**». [صحيح الجامع رقم: ١٣٢٦] وهذا يحكي واقعنا المعاصر. نسأل الله السلامة.

خامسًا: اهتمامه، ﷺ بشكر النعم الدينية التي أنعم الله بها عليه، كغفران ذنبه ما تقدم منه وما تأخر قال ﷺ: «**لما قام حتى تفطرت قدماه أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

فينبغي لنا أن نحمد الله -عز وجل - لأنه يستحق الحمد والمدح والثناء، وأن نشكره على آلائه التي لا تعد ولا تحصى، وأن لا نقتصر على الشكر باللسان فقط بل أن يكون بالقلب واللسان والجوارح، لأن النعم كثيرة وعظيمة.

حقيقة الشكر:

حقيقة الشكر: إظهار النعمة والاعتراف بها لله تعالى على وجه الخضوع. قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾. ولا يظن أن الشكر باللسان، فالجوارح كلها عناصر الشكر، ورأس الشكر العمل، قال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾. [سبأ:١٣].

ومن الشكر عدم استعمال النعم في المعاصي فبعض الناس قد آتاه الله مالًا كثيرًا فيصرفه في معصية الله سبحانه وتعالى، من شراء الخمور وآلات اللهو والمزامير وغير ذلك، ولا يدري أن الله سبحانه وتعالى سيسأله عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟!

فيجب الشكر على البشر عمومًا، وعلى من كان في بلاد الخير خصوصًا. وقد قص الله علينا عاقبة الذين كفروا النعمة، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾. [سبأ:١٥-١٧].

فصار أمر الجنتين عن اليمين والشمال بعد الثمار الناضجة

والمناظر الحسنة والأنهار الجارية أن تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وعدم شكرهم للنعم.

فيتبين لنا مما سبق أن شكر النعم سبب عظيم من أسباب دفع العقوبات من الله سبحانه وتعالى.

(نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا ذكره وشكره).

عاشرًا: التوبة من جميع المعاصي:

إن الذنوب حجاب عن الله سبحانه، والانصراف عن كل ما يبعد عن الله واجب، وإنما يتم ذلك بالعلم والندم والعزم، فإنه متى لم يعلم أن الذنوب من أسباب البعد عن الله لم يندم على الذنوب ولم يتوجع بسبب سلوكه طريق البعد وإذا لم يتوجع لم يرجع عن الذنوب.

التوبة: هي الرجوع عن المعصية إلى طاعة الله وهي واجبة من كل ذنب، ولها ثلاثة شروط:

١- الإقلاع عن المعصية.

٢- الندم على فعلها.

٣- العزم على ألا يعود.

وأما إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فلا يبرأ إلا برد الحق إلى صاحبه أو استحلاله عن ذلك الحق الخاص.

ونحن في هذا المقام نبين أن سبب العقوبة هي المعاصي على

اختلاف أنواعها، ولا ترتفع العقوبة إلا بالتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، كما قال ﷺ «**ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرتفع إلا بتوبة**».

فحقيق علينا أن نبادر بالتوبة والإقلاع عن المعصية لأجل أن يرتفع ما نزل من هذا البلاء الذي عم كل فرد من أفراد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حيث تسليط الأعداء وإمالة دولتهم على المسلمين، وتسلم زمام مهام الدولة الإسلامية، وحتى إننا في هذه الأيام رفعت عنا العافية الكافية في عدم ظهور المعاصي والاستتار بها، كما قال ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرون**». [متفق عليه].

فنرى صاحب الدخان قد جاهر بدخانه.

وحالق اللحية قد جاهر بها، وهي ظاهرة.

وصاحب آلات الملاهي قد أفشاها ولا يخفى أن المعصية إذا ظهرت ونزل عقاب.

إنه يعم الطالح والصالح إذا لم ينكر، كما في قصة أصحاب السبت ثم أنه ظهرت في المسلمين ظاهرة سيئة حتى فشت في جميع المجتمعات، وهي أنك إذا دعوت شخصًا للتوبة من أي ذنب تغير وجهه وظهر عليه الغضب، كأنك أخذت منه أعز شيء لديه، ثم يستدل بأن المعصية خفيفة وغيرها أكبر، وغير ذلك، أو استدل بآيات الرحمة والرجاء ونحو ذلك، وهو لا يعلم أن الله سبحانه وتعالى كلما ذكر آية رحمة قرنها بآية عذاب، أو ذكر أصحاب الجنة

وصفاهم أتبعهم بأصحاب النار وصفاهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [الأنعام:١٦٥] وفي هذا المقام نورد عقاب بعض الأمم التي ذكره الله في القرآن الكريم، مع ذكر المعصية لأجل أن يزول الشك، ويرتفع الحجاب وتستنير البصائر.

قال ابن القيم – يرحمه الله تعالى –: (مما ينبغي أن يعلم أن المعاصي والذنوب تضر وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاها في الضرر، وهل في الآخرة شر وداء إلا بسبب الذنوب والمعاصي).

ثم قال – يرحمه الله تعالى: فما الذي أخرج الأبوين من الجنة والنعيم واللذة والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ ذكرت قصة الأبوين للاستدلال على أن العقوبة تترتب على المعصية وتأمل قصة إنزال إبليس لعنه الله من ملكوت السماء وطرده، ولعنه، ومسخه، ظاهرًا وباطنًا فجعلت صورته أقبح الصور وأشنعها وباطنه أقبح من صورته وبدل بالقرب بعدًا، وبالرحمة عذابًا ولعنة، وبالجمال قبحًا وبالجنة نارًا تتلظى، وبالإيمان كفرًا، وبموالاة الولي الحميد عداوة ومشاقة.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رءوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من

ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعًا ثم اتبعهم حجارة من السماء أمرها عليهم فجمع عليهم في العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ولإخوانهم أمثالها قال تعالى: ﴿**وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾.

وفي هذا نذكر آثار ظهور المعاصي المؤلمة التي تضر بالفرد والمجتمع:

أولًا: ظهور العقاب العام بالخوف والجوع والخسف والمسخ كما قص علينا من نبأ الأمم السابقة السالفة الذكر.

ثانيًا: تسليط أعداء لم يكن لهم تسلط من قبل.

ثالثًا: إفساد العقل فإن العقل نور، والمعصية تطفئ نور العقل.

رابعًا: احتقار المعصية فإن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه.

خامسًا: تعسير الأمور؛ فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه أو متعسرًا عليه.

سادسًا: شماتة الأعداء فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهذا ما يفرح العدو ويسيء الصديق.

سابعًا: أنه توجد في الأرض أنواع الفساد في المياه والهواء

والزرع والثمار والمساكن. قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾. [البقرة:١٥٥].

والحسنى تضمن للإنسان الفلاح في الدنيا والآخرة، لأن الله شرط الفلاح على التوبة فقال: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾. [النور:٣١].

وبهذا المقدار نكتفي مما ذكر من أسباب رفع العقوبات أو دفعها قبل نزولها في المجتمع، ونحن في كل يوم نعاصر محنة كبيرة وأزمة عظيمة بسبب ما اقترفته أيدينا من المعاصي والذنوب، وعدم الالتزام بأوامر الله ورسوله.

فالعاقل هو الذي يعمل لما بعد الموت، ولا يتبع نفسه الأماني، فكثير من الناس يتمنى على الله الجنة ولا يعمل بعمل أهلها، بل بعد ما بينه وبينهم بعد ما بين المشرق والمغرب.

وقد تكون أعمال شخص واحد مشئومة على مجتمع كامل، كما قال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾. [النمل:٤٨].

وذلك بسبب زعامة السفهاء أو أوامرهم الهوجاء التي لا تتقيد بمبدأ ولا ترتسم على منهج، وهذا كله بسبب تضييع أوامر القرآن الكريم والسنة.

فالواجب علينا جميعًا أن نتدبر كتاب الله وسنة نبيه، ونتقيد بما جاء فيهما لنفوز في الدارين، وليعلم كل مسلم غيور على دينه أن

من لم يعمل بما جاء فيهما فإن عمله مردود عليه، ولو قــام قيــام السارية صلاة وصيامًا بدون فتور فإنه مأزور غير مأجور.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشــكره، وأن يرزقنا القيام بما أوجب علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يرزقنا التوبة النصوح، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصــلى الله على النبي الكريم، وعلى آله أجمعين.



المحتويات